

جرح عميق في نفس الابن .. ومحاولة للعلاج



الجمعة 9 مارس 2018 06:03 م

لاتزال تتعرف على الحياة والكون من حولها , فلو أردنا تربيتها فلنعلم أن السبيل إلى ذلك هو العلم والرفق والفهم ومتابعة منهاج القرآن الكريم وسنة الرسول صلى اله عليه وسلم ..

بناء القيم هو الطريق الأمثل لتوجيه السلوك , فالضغط لتوجيه السلوك عادة ما يأتي بالسلب , ووصية النبي في التربية بالعموم هي الرفق , قال صلى الله عليه وسلم : " عليكم بالرفق " , " إنَّ الرِّفْقَ لا يكون في شيء إلا زانه , ولا ينزع من شيء إلا شانه " أخرجه مسلم

وأحكي لك ايها القارئ موقفًا معبرًا لأحد الآباء بينما ياتيني باحثًا عن حل للمشكلة الكبيرة الي أوقع نفسه فيها مع ولده ..!

قال لي الأب ودمعته تتساقط : نعم لقد لطمته لكمة شديدة على وجهه !

وأكمل حديثه المؤلم بينما يحكي لي قصته البائسة مع ولده الصبي ابن الـ16 عامًا , " وجدته ذات يوم يلبس ثيابا غير لائقة , ضيقة , تبعا لملابس الشباب الآن , فطلبت منه أن يبدلها , فرد علي أنها عادية وأن كل اصدقائه يلبسونها وأنها لا تغضب الله , فصرت في وجهه أن : اخلعها الآن , فرفض , فأغضبني جدا , فأرغمته على خلعها , وأخذتها وألقيت بها في القمامة , فصاح الولد : لا لا تفعل , فصفعته على وجهه صفعة شديدة " ..

قلت له - متاثرا - وماذا بعد ؟! هل بكى الولد ؟ هل جرى إلى غرفته ؟! ..هل صرخ مثلا ؟!

قال : نعم صرخ صرخة واحدة متألما , لكنه بعد ذلك صمت تماما , وظل صامتا أياما طوال , لا يكلم أحدا !

وكلما حاول أحد من أهل البيت أن يحدثه أعرض عنه تماما , واستمر الوضع هكذا شهرا اضطررت خلاله للإتيان بأصدقائه ومعارفه تاره و بأقربائه تاره , لكن لاجدوى

ثم اضطررت للذهاب إلى الطبيب النفسي الذي أخبرني أنه تعرض لصدمة عصبية مفاجئة نتيجة اللكمة التي تلقاها مني عن غير توقع ومن غير خطأ يستحق من وجهة نظره , فرأى نفسه مظلوما , ورأني قاسيا ظلوما , وتكسرت أمامه صورة الأب الذي كان يتمناه !

نصحتني الطبيب أن أذهب إليه , واستعطفه , وأعتذر له , وأخبرني أنه لاسبيل لشفائه إلا عن طريق هذه الخطوة أولا ثم يبدأ في العلاج معه ..

قال الأب : ذهبت إليه , وظللت استعطفه , وأعتذر إليه , ولم أتمالك نفسي فبكيت أمامه , فإذا بابني تتساقط دمعته على خديه , واحتضنته فاحتضني ..

ولما دخلت أمه عليه , أشار إليها بألم في أذنه , فذهبوا به للطبيب فأخبرهم أنه قد حدث له ثقب في الأذن جراء اللكمة التي لطمتها له , ولا يزال يعالج منها حتى الآن ..!

يقول الاب أنه بعد ذلك لم يعد أبدا يخاطب ابنه ذاك بالذات بأي قسوة أو شدة , وأن هذا الولد قد صار عنيدا جدا , لا يأتذر بأمر , ولا بطاعة تخالف هواه , بل إن له رؤية سلبية شديدة تجاه المتدينين !

القصة تنطق وحدها بدروسها المستفادة , وتعبر بذاتها عن العبر والأخطاء التي ارتكبها الأب الغضوب أثناء غضبته وقسوته , وآثار تلك اللطمة المجرمة على حياة الولد ونفسيته ورؤيته الفكرية وقيمه ومبادئه وخلقه ..الخ

إنها لطمة واحدة لكنها يمكن أن تغير حياة ابن أو بنت من أولادنا ..

هذا الاب كان يمكنه التصرف بحكمة أكثر مما فعل بدرجات كثيرة , فكان يمكنه ملاحظة السلوك السلبي , ثم يبحث عن سببه ودوافعه , هل دافعه أصدقاؤه وأصحابه , أم أن وراءه قناعات عن طريق القراءة مثلا , أم أنها اختيارات شخصية ورغبة في التقليد .. أم غير ذلك

ثم انه كان عليه أن يبادر بعد ذلك في بناء القيم الإيجابية المضادة لما يراه عند الولد من قيم سلبية , ثم أن يستعين بكل من يراهم يستطيعون التأثير في الولد لبناء تلك القيم ..

وأنه كان قادرا على أن يتقرب من ابنه ويتحجب إليه حتى يجعله الولد قدوة من قدواته , وأن مساحة من الحوار الهادىء الراقى بينهما كانت ضرورية قبل الضغط والتشديد .

وأن العقاب أثناء الغضب خطيئة تربوية كبرى يجب أن يمتنع عنها كل مرب , وأن كل هذا قد يستغرق وقتا ..

فلما سألني قائلا : وأثناء هذا الوقت الذي ابني فيه القيم عند ولدي , ماذا أفعل إذا رايته أخطأ؟! قلت له :

إن التربية يجب أن تبدأ من الصغر جدا , وبناء القيم يجب أن يث في قلوب الابناء وعقولهم منذ بداية النشأة , وأنه قد أخطأ ابتداء لما ترك ابنه حتى عمر الصبا بغير اهتمام بمنهجية التربية .

ولأنه أخطأ فيجب عليه أن يتحمل , ويعالج , ويصلح , ويصبر , ويعالج بالرفق والنصح , والحوار , والإقناع , والحب , ويجعل الحزم عند الأخطاء الكبيرة , ويوظفه توظيفا إيجابيا بعلم وفهم واستطلاع لآراء الخبراء